حوليات آداب عين شمس (عدد خاص 2019)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

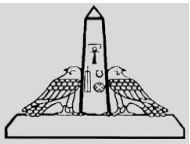

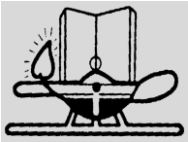

العلاقات بين أنقرة وآل آنجيلوس في عهد الأمير مسعود السلجوقي

هادي علي عطية

مدرس مساعد بقسم التاريخ، كلية الأداب، جامعة عين شمس

المستخلص

تتناول هذه الورقة البحثية من خلال المصادر العلاقات السياسية بين إمارة أنقرة والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل آنجيلوس، والدعم السلجوقي للثائر آلكسيوس المزيف، والفتح السلجوقي لداديبرا، وقد خلص الباحث من خلال هذه الدراسة الى ان العلاقات كان قائمة على الصراع.

الكلمات المفتاحية:

الإمبراطورية البيزنطية، آل آنجيلوس، آلكسيوس المزيف، أنقرة ، تاريخ آسيا الصغرى، سلاجقة، نيكتاس خونياتس.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس 2019.

مع قيام السلطان قلج آرسلان الثاني بتقسيم السلطنة بين أولاده[1]، ظهرت كيانات سياسية تشير بعض الدلائل إلى تسمي القائمين عليها بالسلطنه، كما كانت لهم سياسة خارجية منفصله ومستقله، وهو ما يظهر بشكل واضح في سياسات انقره تحت حكم محي الدين مسعود بن قلج آرسلان.

ضنت المصادر الإسلاميه بالمعلومات عن شخصية محي الدين مسعود وكيفية إدارته لانقره، كما لم تشر إلى علاقاته مع بيزنطة في عهد آل انجيلوس، فقد اكتفت فقط بوصف الكيفية التي نجح بها أخوه ركن الدين سليمان[2] في الغدر به، والاستيلاء على انقره لتوحيد السلطنه السلجوقية.

تؤكد الكتابات الاسلامية ان انقرة في تلك الفترة كانت مدينة محصنة[3]، كما كانت مستقراً لأمراء السلاجقة المنتزين والطامعين في العرش؛حيث أشعل منها عرب بن قلج آرسلان عام (520هـ/1126م) ثورة شعواء ضد أخيه السلطان مسعود مما حدا بالأخير إلى اللجوء للدانشمنديين للمساعده في القضاء على أخيه الطامع في السلطنه[4]، كما ان السلطان قلج آرسلان الثاني بن مسعود خاض حروب شرسة ضد أخيه شاهنشاه الذي استقل بانقره، وحاول بشكل مستمر ارتقاء العرش، لكنه فشل[5]، لهذا مكنت انقرة لمحي الدين مسعود ان يستقل عن إخوته ويتسمى بالملك ويضرب العمله باسمه، بل انه اتخذ سياسة مخالفة لوالده قلج آرسلان حين رفض ان يشارك والده في تعهداته بالسماح لمرور فردريك من آسيا الصغرى، وقرر ان يعمل على إعاقة القوات الصليبية[6]، كذلك كان آخر كيان منفصل استولى عليه ركن الدين سليمان بن قلج آرسلان الذي كافح لإعادة توحيد السلطنة مرة أخرى.

ذكر نيكتاس خونياتسNiketas Choniates (ت:القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) المصدر الرئيس للعلاقات بين انقرة والإمبراطور آلكسيوس الثالث–ثالث أباطرة آل آنجيلوس–ان ثائراً بيزنطياً يسميه خونياتس "آلكسيوس القليقي Cilician Alexios" أو "آلكسيوس المزيف false–Alexos"، زعم انه الكسيوس الثاني ابن الإمبراطور مانويل كومنين–وكان الكسيوس الثاني قد قتل على يد اندرونيكوس كومنين آخر أباطرة آل كومنين–وطالب هذا المُدعي بحقة في العرش من الكسيوس الثالث، لذا سعى للحصول على المساعدة من انقرة فاستقبله مسعود وقدم له الدعم الكامل مما مكن الثائر البيزنطي من السيطرة على عدد من المدن البيزنطية القريبه من انقره[7].

وقد حاول الإمبراطور البيزنطي مواجهة هذا التمرد فأرسل حاجبه جون ايونوبوليتس John Ionopolites، والذي فشل في إحراز تقدم على حساب آليكسيوس القليقي، لهذا سعى آلكسيوس الثالث لفض التحالف بين انقره والقليقي بعقد معاهدة مع مسعود، فما كان من الأخير إلا ان بالغ في شروطه حيث طالب بخمسمائة عملة من الفضة الخالصه تدفع فورا غير جزية سنوية عبارة عن ثلاثمائة عملة فضية واربعين ثوبا من الحرير، وقد رفض الإمبراطور هذه الشروط وخرج في حملة عسكرية للتعامل مع

الموقف، ولكنه لم يجد الدعم الكافي من الأهالي في المناطق المتنازع عليها في ميلاجينا Malagina–وسيتم التعريف بها لاحقا–مع آلكسيوس القليقي حيث ان الأهالي والقادة العسكريين توزع ولاؤهم بين الإمبراطور والثائر، بل أعلنوا بشكل واضح أمام آلكسيوس الثالث انه لا يملك الدليل الكافي على أفضليته في تولي العرش وإثبات زيف آلكسيوس القليقي[8].

قضى الإمبراطور شهرين في حملته العسكرية ضد آلكسيوس القليقي وحلفائه من الأتراك حيث نجح في إستعادة بعض الحصون، وقام بإحراق أخرى فشل في حمايتها، ولكنه لم يستطع حسم الموقف، لذا عاد من حملته بعد ان ترك خلفه قائداً هو مانويل كنتاكوزينوسManuel Kantakouzenos لمواجهة الثورة[9].

نجح آلكسيوس المزيف في فرض سيطرته على العديد من القلاع البيزنطية وتحصيل الضرائب من قاطنيها، بينما تخاذل الإمبراطور عن القيام بمحاولات جدية للقضاء على الثورة، وشاء القدر ان تنتهي هذه الفتنة عام(594هـ/ 1197م)، عندما تعرض آلكسيوس القليقي للاغتيال أثناء تواجده داخل مدينة جانجراTzoungra[10] في شمال انقره لتنطفئ نار تمرده[11].

حققت انقرة العديد من الانجازات العسكرية والسياسية جراء مساعدتها التمرد السابق، فعلى الصعيد العسكري هاجم مسعود مدينه داديبراDadibra[12]، وأقسَم المسلمون على فتح المدينة، فعكفوا على حصارها لمدة أربعة أشهر مسببين المعاناة لسكانها من مرارة الحصار، مما أضعف من عزيمة الأهالي رغم محاولات مبعوثي الإمبراطور تحفيزهم على مقاومة الترك، ولكن حماة المدينة فتَ في عضدهم خاصة مع عدم ثقتهم في قدرة الإمبراطور على رد الأتراك، كذلك لم يتلقوا أي دعم من الأقاليم البيزنطية المحيطه[13].

وصف نيكتاس خونياتس ضراوة قصف المسلمين للمدينة، حيث جلبوا الأحجار من التلال المحيطة وقذفوها بآلات الحصار حتى وصلت لوسط المدينة ودمرت المنازل، كما نجح المسلمون في تدمير مستودعات المياه الخاصة بها[14].

جاءت محاولة الإمبراطور لانقاذ المدينة بإرساله جيش تحت قيادة ثلاثة قادة شباب هم ثيودور برناسTheodore Branas، واندرونيكوس كاتكالو Andronikos Katakalo، وثيودور كازانيسTheodore Kazanes، وقد عسكروا بالقرب من جبل يسميه خونياتس جبل باباس Mount Babas[15]، وقد علم الأتراك بقدوم القوات البيزنطية فاحكموا كمينا انقض فجرا على القوات البيزنطية، ونجحوا في تمزيقها كما سقط العديد من الأسرى على رأسهم اثنان من القادة –لم يحددهما خونياتس–فحملهم المسلمون مكبلين أيديهم خلف ظهورهم، وطافوا بهم على مرآى من المدافعين عن داديبرا، مما جعل

الأخيرين يوافقون على الاستسلام ففرض عليهم المسلمون ضرورة الرحيل عن المدينة احرارا يحملون متاعهم دون ان يمسهم أذى، أو تفرض عليهم اية أعباء مادية، وفي ديسمبر(593هـ/1196م) وافق الإمبراطور على عقد معاهدة مع المسلمين تقضي بدفع الجزية سالفة الذكر والتي رفض ان يدفعها قبل سقوط المدينة[16].

ذكر خونياتس المقاطعات البيزنطية التي عانت من شرر الثورة المذكورة كبافلاجونياPaphlagonia[17] التي تقع بها مدينة داديبرا، كما أورد ان بيثينيا عانت الأمرين من حروب الكسيوس القليقي، ويهم البحث هنا الوقوف عند ميلاجينا التي ذُكر سابقا انها وقفت على الحياد بين الثائر والإمبراطور، فملاجينا هي قسم من بيثينيا في شمال غرب آسيا الصغرى[18]، ولها أهمية عسكرية لكونها من النقاط الهامه على طريق عسكري بيزنطي يربط آسيا الصغرى ببعضها[19]، وجاء أول ذكر لها كقاعدة عسكرية انطلقت منها حملة ضد المسلمين في عصر الإمبراطورة ايريني Irene عام (170هـ/786م)، وقد تتابع اهتمام الأباطرة البيزنطين بها فأسسوا فيها رباطا عسكريا حيث كان يستقر بها حاكم عسكري استراتيجوس Strategos[20]، كما كانت مقرا للإسطبلات الإمبراطورية، ونقطة تجمع هامة لراحة الجيوش وتوفير العلف[21]، وعمل الإمبراطور مانويل كومنين على ترميم الحصون بملاجينا، ورغم ان الغزو السلجوقي للاناضول قضى على ماتمثله آسيا الصغري كمعين عسكري وبشري للامبراطورية إلا ان مالاجينا ظلت لها أهميتها العسكرية والاستراتيجيه لتركزها كقاعدة في شمال الاناضول بالقرب من القسطنطينية[22]، ويؤكد اهتمام خونياتس بذكر النقاش الحاد الذي دار بين الإمبراطور وممثلي مالاجينا حول مدى صدق الكسيوس القليقي ، واسباب عدم انحياز سكان المنطقة لأي من الطرفين حجم الفاجعه التي أصابت الإمبراطورية من مسانده انقرة لهذه الثورة والتي ضعضعت السيطرة البيزنطية في شمال الاناضول[23].

لم يكن التوفيق العسكري فقط هو ماحققه مسعود من وراء الدعم المباشر لثورة الكسيوس القليقي، بل تكللت جهوده بتحقيق هدف سياسي وانجاز حضاري، فعندما لخص محمد جواد مشكور سيرة مسعود ذكر انه هاجم عددا من الحصون البيزنطية لكي يعترف به الإمبراطور كسلطان شرعي لسلاجقة الروم[24]، ومما يؤكد انه نال سلطاناً رسمياً على المدينة تلك العمله المنسوبة إليه التي كتب على وجهها (العبد الضعيف المحتاج الى رحمة الله)، وعلى الوجه الآخر (مسعود بن قلج آرسلان بن مسعود)[25]، هذا إلى جانب نقش آخر في انقره بتاريخ (صفر 594هـ/1197-1198م) حمل فيه مسعود ألقاب"الملك القاهر، محيي الدولة والدين، أمير الروم واليونان"[26].

أثمرت المعاهدة المعقودة بين انقرة والقسطنطينيه عن استعانة الأخيره بقوات مسعود في حربها مع الولاشيين[27] المتمردين في مقدونيا عام(594هـ/1197م) [28]، وساهم الأتراك بدور فعال في الحرب، ونجحوا في أسر عدد من الولاشيين، عملوا على

ادخالهم في الإسلام الأمر الذي أثار اعتراض بعض المتدينين من خاصة الإمبراطور الذين طالبوه بإستلام الاسرى الموجودين لدى الأتراك ليكونوا خدما عند البيزنطيين لانهم "يعبدون نفس الإله" مع وقف عملية تحويلهم للإسلام، مع تقديم تعهدات للترك بتعويضات مناسبة ولكن الإمبراطور أعرض عن هذه النصيحة[29].

كان لمسعود غايه دينية واضحه من حروبه، فلم يكن الغزو وتحطيم قوى العدو منتهى أمله، بل حاول ان يجعل من سيطرته نقله حضاريه وفتحا واستقرارا، فإذا كان جنوده اهتموا بنشر الاسلام بين الأسرى الولاشيين، فهو أيضا بعد سيطرته على مدينة داديبرا كما سلف قام بتوطين المسلمين في المدينة وإخراج البيزنطيين منها، الذين ارتضى بعضهم ان يعيش في اكواخ بالقرب من المدينة والدخول في طاعة السلاجقة ودفع الجزية لهم، وقد عقّب خونياتس على هذه الأعمال بان المدينة واجهت نهايتها[30].

كانت نهاية إستقلال مسعود على يد اخيه ركن الدين سليمان الذي ملكه أبوه توقاتTokat[31]، ونجح في الانطلاق منها وتوحيد الدولة؛ذكر نيكتاس خونياتس انه دخل في صراع مرير مع مسعود قبل سيطرته على قونية، وكان الصدام بين الرجلين حول أملاك أخيهم الراحل قطب الدين الذي كان يملك سيواس[32] وأقسرا، ونتيجه لمهارة ركن الدين العسكرية نجح في الانتصار، بل سيطر على قسم من أملاك مسعود، مما أجبر الأخير على الاعتراف بشرعية سليمان واستمر قائما في انقرة كتابع لأخيه، ثم اتجه سليمان بعد ذلك لقونيه، وطرد اخاه كيخسرو منها عام(593هـ/1196م-1197م)[33].

ولكن هذه الرواية لا تتفق مع ما ذكره ابن الأثير وتابعته فيها المصادر الإسلامية، فمسعود ظل على شقاقه مع أخيه، ونجح في الاحتفاظ باستقلاله في انقرة حتى بعد سيطرة سليمان على قونية، وطرد كيخسرو-السلطان الشرعي-منها و فرض سليمان حصار طويل الأمد على انقرة حتى قلت الأقوات فيها ووهنت عزيمة مسعود عام (600هـ/1203م)، فدخل في طاعة أخيه وتنازل عن انقرة شرط تعويضه عنها، وافق سليمان على ما شرطه مسعود وأمنه للخروج من انقره، فخرج منها هو وولدان له لكن سليمان غدر به وأرسل من قتله هو واولاده، ثم مات سليمان بعد هذه الحادثة بخمسة أيام[34].

استمر مسعود إذن في انقره حتى أواخر حكم سليمان ونجح في الاحتفاظ بالمدينة حتى بعد طرد كيخسرو من قونية كما تذكر المصادر الاسلامية، ذلك عكس ماروا خونياتس والذي جعل السيطرة على المدينة في بدايات انطلاقة سليمان لتوحيد الدولة وقبل السيطرة على قونية، ويرجح البحث رواية المصادر الإسلامية، خاصة مع إهمال ابن بي بي(ت:القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)ذكر أي حديث عن إمارة مسعود في انقره وكيف ضمها سليمان، وربما تعمد ابن بي بي -وهو الكاتب الرسمي لدولة سلاجقة الروم-إخفاء الحيف الذي انزله سليمان بأخيه[35].

Abstract

Relations between Ankara and the Angelos during the reign of Prince Masoud of Seljuki

By Hadi Ali Attia

The aim of theis paper is to study the political relations between the Emirate of Ankara under the rule of the prince massoud,and the Byzantine Empire through the sources. It shades light on the revolt of False-Alexios, also it examines the conquer of Dadibra.

الهوامش

(1)جاء التقسيم على النحو التالي ركن الدين سليمان في توقات، غياث الدين كيخسرو في قونية، محي الدين مسعود في انقره، معز الدين قيصر شاه في ملطية، مغيث الدين طغرل شاه في أبلستين، نور الدين محمود في قيسارية، قطب الدين في سيواس وأقصرا، واعطى نيكسار واماسيه لولدي اخيه الذان لم تحدد أسماءهما المصادر، انظر:النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ27، القاهرة، 1985م ، صـ96؛ابن خلدون، ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق:خليل شحاده، جـ5، بيروت، 2000م ، صـ192؛القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق:احمد حطيط وفهمي سعد، جـ2، طـ1، بيروت، 1992م، صـ514.

(2)ركن الدين سليمان الثاني(593-600هـ/1196-1204م) سادس سلاطين سلاجقة الروم نجح في توحيد دولة سلاجقة الروم بعد ان كانت مفككه نتيجة لتقسيم والده قلج آرسلان السلطنه على أبنائه.انظر: الزيباري، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ط2، بغداد، 2009م ، صـ(110-114).كذلك:

Alexios G.C. Savvides, Suleyman Shah of Rum, Byzantium Cilican Armenia and Georgia (A.D. 1197-1204), Byzantion, Vol. 73, No. 1 (2003), pp. 96-111.

(3)ابن الآثير، الكامل في التاريخ، جـ10، طـ1، بيروت، 1987م، صـ292؛النويري، المصدر السابق، جـ27، صـ98؛ابن خلدون، المصدر السابق، جـ5، صـ193.

(4)من مؤلفي ناشناخته(زنده در765ه.ق)، تاريخ آل سلجوق در آناطولى/، تـ:نادره جلالى، تهران، 1377، صـ80؛علي بن صالح المحيمد، المرجع السابق، صـ(109-111)؛الزيباري، المرجع السابق، صـ95.

(5)ابن خلدون، المصدر السابق، جـ5، صـ190؛الزيباري، المرجع السابق، صـ100.

(6)انظر:

Cahen,Pre-Ottoman Turkey,Trans by:Jonees Williams,New York,1968p.113.

(7)انظر:

O city of Byzantium,Annals of Niketas Choniates,Trans by Harry J.Magoulias,Detroit,1984,pp.253,260

(8) انظر Ipid,p.25

(9)انظر:

Annals of Niketas Choniates,p.254.

(10)جانجرا في شمال آسيا الصغرى وتشرف على الطريق الواصل بين إقليم شمال وسط الاناضول- المعروف قديما بجلاتيا والذي تقع به انقره- و البحر الأسود وقد فتحها الدانشمنديون عام(468هـ/1075م)، ثم سقطت في يد البيزنطيين عام(530هـ/1135م)، ولكن سرعان ما استعادها الدانشمنديون عام(531هـ/1136م) .انظر:المحيمد، المرجع السابق، صـ220، 221.كذلك:

. Alexander P.Kazhdan,The Oxford Dictionary of Byzantium,Vol.3,New York,1991,p.821.

(11)انظر:

Annals of Niketas Choniates,p.254.

(12) يفترض تشارلز براند انها مدينة ديفريك الحالية في شمال تركيا، وقد حدد موقعها هاري ماجولياس في ترجمته لكتاب نيكتاس خونياتس بالقرب من نهر هاليس(قزل ايرماق) انظر:محمد صبري محسوب، إقليم النطاق الجبلي في غربي آسيا، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جـ5، الرياض، 1419هـ، صـ43.كذلك:

Annals of Niketas Choniates,P420;Charles M.Brand,Byzantium confronts the west 1180-1204,Cambridge,1968,p.136.

(13) انظر:

Annals of Niketas Choniates,p.260.

(14) انظر:

Ipid,p.260

(15)انظر:

Annals of Niketas Choniates,P.260;Charles M.Brand, Byzantium confronts,p.136.

(16)انظر:

Annals of Niketas Choniates,pp.260,261.

(17)تقع بين إقليم جلاتيا-السالف ذكره بهامش 22-والبحر الأسود كانت عاصمتها مدينة جانجرا، وتتميز بوديانها، وبانتاجها للاخشاب والحبوب.انظر:

Kazhdan,Op.cit,Vol3,p.1579.

(18)انظر:

. Kazhdan,Op.cit,Vol2,p.1274

(19)انظر:

John Haldon,Warfare state and society in the Byzantine world 565-1204,2003,p.56.

(20)الاستراتيجوس مصطلح يطلق على القائد العسكري الذي يحكم المقاطعات(ثيمTHEME) وله من السلطات العسكرية والمدنية، وقد ظهر نظام الثيمات في القرن السابع الميلادي نتيجة لتعرض الإمبراطورية لأخطار الفرس والعرب.انظر:ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، صـ97.كذلك:

Kazhdan,Op.cit,Vol3,p.2034.

(21)انظر:

Kazhdan,Op.cit,Vol2,p.1274

(22)انظر:

John Haldon, Op.cit,pp.141,150,151

(23) انظر:

Annals of Niketas Choniates,pp.253,254

(24)محمد جواد مشكور، المرجع السابق، صـــ92.

(25)أحمد توحيد، مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي، القسم رابع، قسطنطينية، 1321، صـــ122.

(26)انظر:

Songul Mecit,The Rum Seljuqs (473-641/1081-1243):Ideology, Mentality and Self-image, University of Edinburgh,2009,p.139.

(27)الولاشيين أجداد سكان رومانيا الحالية كان مستقرهم في تلك الفترة في مقدونيا وتساليا وعلى ضفاف الدانوب. انظر:

Annals of Niketas Choniates,p.381.

(28)انظر:

Paul Stephenson,Byzanyium's Balkan frontier,A Political Study of the Northern Balkans,900-1204, Cambridge,2000,p307.

(29)انظر:

Annals of Niketas Choniates,p.313.

(30)انظر:

Annals of Niketas Choniates,pp.295,296.

(31)توقات تقع بين قونيه وسيواس بينها وبين الأخيره يومان.انظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـــ2، بيروت، 1977م، صـــ59.

(32)سيواس تقع شمال شرق الاناضول كانت محطه تجاريه هامه وصفها ابن بطوطه بانها"حسنة العماره، واسعة الشوارع، أسواقها غاصة بالناس".انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، 1966م ، صـــ197؛فاطمة الربيدي، تجارة الاناضول في عصر سلطنة سلاجقة الروم(470-708هـــ/1077-1308م)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، 2013م، صـــ102.

(33)انظر:

Annals of Niketas Choniates,p.286.

(34)ابن الأثير، الكامل، جـــ10، صـــ292؛النويري، المصدر السابق، جـــ27، 98؛ابن خلدون، المصدر السابق، جـــ5، صـــ193.

(35)ابن بى بى، الاوامر العلائية في الامور العلائية، انقره، 1965م، صـــ(30-36)؛مجهول، أخبار سلاجقة الروم من مؤلفات القرن السابع الهجري، ت:محمد السعيد جمال الدين، القاهرة، 2007م، صـــ7، 8.